أهل الآخرة

”عندما تقومون بتربية جيل الشباب، فإنّما تقومون في الواقع بتربية القوى الإنسانيّة في البلاد“.

الإمام الخامنئي دام ظله

الناشر: جمعية كشافة المهدي
إعداد: مفوضية البرامج
تصميم: الجمعية اللبنانية للفنون / رسالات

الطبعة الأولى: 2011 م ـ 1432 هـ

العنوان: لبنان ـ بيروت ـ بئر حسن
تلفون: 01 820704

www.almahdiscouts.net

باسمه تعالى

قال الله تعالى:
«وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ * وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ * وَجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ * لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ».[1]

إنّها رحلة الآخرة رحلة السفر الطويل، تلك الرحلة التي تبدأ من بيت الغربة حيث يحسم مصير كل إنسان، فإمّا أن يكون من أصحاب اليمين وإمّا والعياذ بالله يكون من أصحاب الشمال، وفي تلك الرحلة أهوال ومواقف ينجو منها البعض ويسقط البعض الآخر.

هذا الملفّ "أهل الآخرة" هو تذكرة تنفع المؤمنين، نضيئ فيها على أبرز مراحل رحلة الآخرة وما فيها من أهوال وما ينفع في تلك الأهوال.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الفائزين في ذلك اليوم، إنّه سميع مجيب.

والسلام

1- سورة ق، الآيات من 19 إلى 22.

توضيحات وإرشادات:

القادة الأعزّاء..

نقدّم لكم فيما يلي عرضاً موجزاً حول مميّزات هذا الملف، وبعض الإرشادات الّتي ينبغي الالتزام بها أثناء تنفيذه:

- يحوي ملف «أهل الآخرة» أربعة أنشطة حول الموت والقيامة، وهو يُحقّق سبعة أغراض من الأغراض المدرجة في السجلّ.
- أُعِدَّت جميع أنشطة الملف لتقديمها بطريقة المحاضرة ومن قِبَل عالم دين معروف بالزهد والتقوى.
- يجب المزاوجة بين أنشطة هذا الملف وغيره من الملفات.
- ينبغي مراعاة اتّساع مكان النشاط بشكل كافٍ، وإضاءته الجيّدة وجلوس الأفراد بشكل مريح.
- أعددنا ملحقاً خاصّاً بهذا المنهج، هو عبارة عن قرصٍ مدمج يحوي المنهج نفسه بكافّة تفاصيله لتتيسّر العودة إليه عند الحاجة، خاصّة لناحية تصوير بعض الملحقات الموجودة والّتي سيضطّر القائد لطباعتها أو تصويرها.

مخطط الملف

النشاط	إسم النشاط	الأغـــراض
الأول	بيت الغربة	• يطّلع على أربعة من الأعمال الّتي تخفّف ضغطة القبر على الإنسان المؤمن. • يطّلع على أربعة من الأعمال الّتي تخفّف وحشة القبر على الإنسان المؤمن.
الثاني	السفر الطويل	• يطّلع على خمسة من أهوال القيامة والمنجّيات منها بالاستناد إلى الآيات أو الروايات.
الثالث	أصحاب اليمين وأصحاب الشمال	• يطّلع على أحوال أهل النار. • يطّلع على أحوال أهل الجنّة.
الرابع	كبائر الذنوب	• يعدد ستّة من الذنوب الكبيرة.
أغراض تحتاج لمعاينة القائد		• يتجنب المعاصي وخاصة الكبائر.

النشاط الأول

بيت الغربة

الأهداف: 1 - يطّلع على أربعة من الأعمال الّتي تخفّف ضغطة القبر على الإنسان المؤمن.

2 - يطّلع على أربعة من الأعمال الّتي تخفّف وحشة القبر على الإنسان المؤمن.

المدّة: 45 د.

المكان: مسجد أو قاعة أو حديقة أحد البيوت.

إرشادات للقائد:

- يفضل إضفاء أجواء روحيّة على القاعة التي سينفّذ فيها هذا النشاط، كتعطيرها، وإخفات الأنوار، والمحافظة على الهدوء التام قبل وأثناء النشاط.
- يجب أن يقدّم هذه المحاضرة أحد العلماء المعروفين بالزهد والتقوى.
- على القائد تصوير الملحق الأول وتسليمه للمحاضر قبل موعد النشاط لتحضيره وتقديمه.

الإفتتاح

يُفتتح النشاط بتلاوة آيات قرآنيّة، ثمّ يقرأ القائد حديثًا حول الإمام المهدي من كتيّب حزمة نور.

بيت الغربة

- يعرّف القائد المشاركين بالمحاضر، ثمّ يعرّفهم بموضوع المحاضرة ويترك الكلام للمحاضر الذي ينبغي أن يقدّم المحاضرة خلال 35 د.
- بعد الإنتهاء، يُفسح المجال أمام المشاركين لطرح استفساراتهم.

الاختتام

يُختتم النّشاط بدعاء الإمام الحجّة بعد أن يوقّع القائد للمشاركين على هدية النشاط.

النشاط الثاني

السفر الطويل

الهدف: 1 - يطّلع على خمسة من أهوال القيامة والمنجّيات منها بالاستناد إلى الآيات أوالروايات.

المدّة: 45 د.

المكان: مسجد أو قاعة أو حديقة أحد البيوت.

إرشادات للقائد:

- يُفَضّل إضفاء أجواء روحيّة على القاعة التي سينفّذ فيها هذا النشاط، كتعطيرها، وإخفات الأنوار، والمحافظة على الهدوء التام قبل وأثناء النشاط.
- يجب أن يقدّم هذه المحاضرة أحد العلماء المعروفين بالزهد والتقوى.
- على القائد تصوير الملحق الثاني وتسليمه للمحاضر قبل موعد النشاط لتحضيره وتقديمه.
- يُفضل تقديم هذا النشاط على مرحلتين (خلال أسبوعين متتاليين).

الإفتتاح

يُفتتح النشاط بتلاوة آيات قرآنيّة، ثمّ يقرأ القائد حديثًا حول الإمام المهدي من كتيّب حزمة نور.

السفر الطويل

- يعرّف القائد المشاركين بالمحاضر، ثمّ يعرّفهم بموضوع المحاضرة ويترك الكلام للمحاضر الذي ينبغي أن يقدّم المحاضرة خلال 35 د.
- بعد الإنتهاء، يُفسح المجال أمام المشاركين لطرح استفساراتهم.

الاختتام

يُختتم النّشاط بدعاء الإمام الحجّة بعد أن يوقّع القائد للمشاركين على هدف النشاط.

النشاط الثالث

أصحاب اليمين وأصحاب الشمال

الأهداف: 1 - يطّلع على أحوال أهل النار.

2 - يطّلع على أحوال أهل الجنّة.

المدّة: 45 د.

المكان: مسجد أو قاعة أو حديقة أحد البيوت.

إرشادات للقائد:

- يُفضَّل إضفاء أجواء روحيّة على القاعة التي سينفّذ فيها هذا النشاط، كتعطيرها، وإخفات الأنوار، والمحافظة على الهدوء التام أثناء النشاط.
- يُفضّل أن يقدّم هذه المحاضرة أحد العلماء المعروفين بالزهد والتقوى.
- على القائد تصوير الملحق الثالث وتسليمه للمحاضر قبل موعد النشاط لتحضيره وتقديمه.
- يُفضل تقديم هذا النشاط على مرحلتين (خلال أسبوعين متتاليين)، على أن يُقدم في الأسبوع الأول موضوع الجنة وفي الأسبوع الثاني موضوع جهنم.

الإفتتاح

يُفتتح النشاط بتلاوة آيات قرآنيّة، ثمّ يقرأ القائد حديثًا حول الإمام المهدي من كتيّب حزمة نور.

السفر الطويل

- يعرّف القائد المشاركين بالمحاضر، ثمّ يعرّفهم بموضوع المحاضرة ويترك الكلام للمحاضر الذي ينبغي أن يقدّم المحاضرة خلال 35 د.
- بعد الإنتهاء، يُفسح المجال أمام المشاركين لطرح استفساراتهم.

الاختتام

يُختتم النّشاط بدعاء الإمام الحجّة بعد أن يوقّع القائد للمشاركين على هديّ النشاط.

النشاط الرابع

كبائر الذنوب

الهدف: يعدد ستّة من الذنوب الكبيرة.

المدّة: 45 د.

المكان: مسجد أو قاعة أو حديقة أحد البيوت.

إرشادات للقائد:

- يفضّل أن يقدّم هذه المحاضرة أحد العلماء المعروفين بالزهد والتقوى.
- على القائد تصوير الملحق الرابع وتسليمه للمحاضر قبل موعد النشاط لتحضيره وتقديمه.
- هذا النشاط يساهم في تحقيق غرض آخر لم يذكر في أهداف النشاط لكونه غرضًا سلوكيًّا، وهو: يتجنب المعاصي وخاصة الكبائر. وبالتالي فإن التوقيع على هذا الغرض خاضع لمدى التغيّر الذي سيحصل عند المشارك من جهة، ولمعاينة القائد ومعرفته بالمشاركين من جهة أخرى.
- يُفضل تقديم هذا النشاط على مرحلتين (خلال أسبوعين متتاليين)، على أن يُقدم في الأسبوع الأول أول ثلاثة ذنوب، وفي الأسبوع الثاني الذنوب الثالثة المتبقّية.

الإفتتاح

يُفتتح النشاط بتلاوة آيات قرآنيّة، ثمّ يقرأ القائد حديثًا حول الإمام المهدي من كتيّب حزمة نور.

السفر الطويل

- يعرّف القائد المشاركين بالمحاضر، ثمّ يعرّفهم بموضوع المحاضرة ويترك الكلام للمحاضر الذي ينبغي أن يقدّم المحاضرة خلال 35 د.
- بعد الإنتهاء، يُفسح المجال أمام المشاركين لطرح استفساراتهم،

الاختتام

يُختتم النّشاط بدعاء الإمام الحجّة بعد أن يوقّع القائد للمشاركين على هدف النشاط.

الملحقات

الملحق الأول

بيت الغربة*

قال تعالى: «وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَئِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ»[1].

وقال تعالى: «كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ»[2]

الموت هو الحقيقة الحتمية التي لا مفر منها لأحد مهما علا شأنه في الدنيا. فالبشر يموتون حتى الأنبياء منهم، ولو كان الخلد يحقُّ لأحد لفضل استحقه لكان الأنبياء عليهم السلام أحقَّ الناس بالخلد، وإلى هذا المعنى أشار أمير المؤمنين عليه السلام في الشعر المنسوب اليه في رثاء حبيبه رسول الله الأكرم صلى الله عليه وآله:

الموتُ لا والداً يُبْقي وَلا وَلَداً ... هذا السبيل إلى أن لا ترى أحَدَا
هذا النبيُّ ولم يخلدْ لأمَّته ... لو خَلَّدَ الله خلقاً قبْلَهُ خلدا
للموت فينا سهامٌ غيرُ خاطئَةٍ ... من فاته اليوم سهمٌ لم يفُتهُ غَدَا

ماذا يواجه الإنسان في القبر؟

بحسب ما لدينا من روايات فإنَّ الإنسان يواجه في لحظة دخوله القبر وحتى يوم القيامة أموراً هي كالآتي:

- وحشة القبر.
- ضغطة القبر.
- المساءلة في القبر.

أولاً: وحشةُ القبر وما يرفعها.

أرشدتنا الروايات الشريفة إلى أعمال ترفع وحشة القبر، ومن هذه الأعمال:

- صلاة ليلة الوحشة: عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «لا يأتي على الميِّت ساعةٌ أشدُّ من أولِّ ليلة فارحموا موتاكُم بالصدقة، فإن لم تجدوا فليصلِّ أحدُكُم ركعتين يقرأ فيهما فاتحةَ الكتاب مرّةً وآيةَ الكرسي مرّة، وقلْ هوَ اللّه أحدٌ مرّتين، وفي الثانية فاتحةَ الكتاب مرّةً وألهاكمُ التكاثرُ عشرَ مرّات ويسلّم ويقول: اللّهمّ صلِّ على محمّد وآل محمّد، وابعثْ ثوابها إلى قبر ذلكَ الميت فلان بن فلان، فيبعثُ اللّهُ من ساعته ألفَ ملك إلى قبره مع كل ملك ثوبٌ وحلّةٌ ويُوسِعُ في قبرهَ من الضيقَ إلى يوم يُنفخُ في الصور، ويُعطى المصلِّي بعدد ما طَلعتْ عليه الشمسُ حسناتٍ ويُرفعُ له أربعونَ درجة».

* جميع الأحاديث تم أخذها من كتاب رحلة الآخرة الصادر عن جمعية المعارف الإسلامية.

1 ـ الأنبياء: 34.

2 ـ آل عمران: الآية 185.

- إتمام الركوع: عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام أنّه قال: «مَن أتَمَّ ركوعَه لم تدخلْهُ وحشةُ القبر».
- الذكر الخاص: وورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «مَن قالَ مائةَ مرّة لا إله إلاّ اللّهُ الملكُ الحقُّ المبين أعاذه اللّه العزيزُ الجبارُ منَ الفقرِ وآنسَ وحشةَ قبرِه واستجلبَ الغِنى واستقرعَ بابَ الجنة».
- قراءة سورة يس قبل النوم: عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنَّ لكلِّ شيءٍ قلباً وإنَّ قلب القرآن يس، مَن قرأها قبل أن ينامَ أو في نهاره قَبْلَ أنْ يُمسيَ كان في نهارِه منَ المحفوظينَ والمرزوقينَ حتّى يُمسي. ومَن قرأها في ليلةٍ قبلَ أنْ يَنامَ وكَّل اللّهُ به ألفَ ملك يحفظونَه من شرِّ كلِّ شيطانٍ رجيم، ومنْ كلِّ آفة. وإنْ مات في يومه أدخَله اللّه به الجنَّة، وحضرَ غسلَهُ ثلاثونَ ألفَ ملكٍ كلُّهم يستغفرونَ له، ويشيِّعونَه إلى قبرِه بالاستغفارِ له. فإذا دخلَ في لحدِه كانوا في جوفِ قبرِه يعبدون اللّه، وثوابُ عبادتهم له، وفسح له في قبره مدَّ بصرِه، وأُومنَ منَ ضغطةِ القبر، ولم يزلْ له في قبرِه نورٌ ساطعٌ إلى عنانِ السماءِ إلى أن يُخرجَهُ اللّه من قبرِه...».
- صلاة ليلة الرغائب: وكذلك صلاةُ ليلةِ الرغائب، وهي أوّلُ ليلة من ليالي الجمعة من رجب فيها عمل مأثور عن النبي صلى الله عليه وآله ذو فضل كثير، وقد وقد ورد في فضلها عن رسول اللّه أنَّه قال: «والذي نفسي بيده لا يصلّي عبدٌ أو أمةٌ هذه الصلاة إلا غفرَ اللّهُ له جميعَ ذنوبه، ولو كانَ ذنُوبُه مثلَ زبدِ البحرِ وعَدَدَ الرملِ ووزانِ الجبالِ وعدَدَ ورقِ الأشجارِ ويشفعُ يومَ القيامة في سبعمائة من أهلِ بيته ممنْ قد استوجب النار، فإذا كان أوّل ليلة في قبره بعث اللّه إليه ثواب هذه الصلاة في أحسنِ صورة فيجيئه بوجه طلق ولسانٍ ذلق فيقول: يا حبيبي أبشرْ فقدْ نجوْتَ من كلِّ سوءٍ فيقول: منْ أنتْ فواللّه ما رأيت وجهاً أحسنَ من وجهكْ، ولا سمعتُ كلاماً أحسنَ من كلامك، و لا شممْتُ رائحةً أطيبَ من رائحتك، فيقول: يا حبيبي أنا ثوابُ تلك الصلاة التي صلّيتها في ليلة كذا من شهر كذا في سنة كذا، جِئْتُكَ هذه الليلةَ لأقضيَ حقَّكَ وأونسَ وحدتَكَ، وأرفعُ وحشتك، فإذا نُفخ في الصورِ ظللتُ في عرصةِ القيامة على رأسك. فأبشرْ فلن تُعدمَ الخَيرَ أبدًا».
- عيادة المريض: فعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «كان فيما ناجى به موسى عليه السلام ربّه أن قال: يا ربِّ أعلمني ما بلغ من عيادة المريض من الأجر؟ قال عزّ وجلّ: أوكِّلُ به ملكاً يعودُه في قبره إلى محشره».
- تولِّي أمير المؤمنين عليه السلام: روِيَ عن أبي سعيد الخدري أنَّه قال: سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وآله يقول: «يا علي أبشرْ وبشِّر فليسَ على شيعتك حسرةٌ عندَ الموت، ولا وحشةٌ في القبور، ولا حزنٌ يومَ النشور. ولكأنّي بهم يخرُجون من جدثِ القبور

ينفضونَ الترابَ عن رؤوسِهم ولحاهُم، يقولون: الحمد لله الذي أذهبَ عنَّا الحزنَ إنَّ ربَّنا لغفورٌ شكورٌ الذي أحلَّنا دار المقامةِ من فضلِه لا يمسُّنا فيها نصبٌ ولا يمسُّنا فيها لغوب».

ثانيًا: ضغطة القبر

تفيد الروايات أنَّ الروح تعود إلى الجسد بعد الدفن، ليواجه الإنسان ضغطة القبر والمساءلة فيه من قبل الملائكة المكلفين بذلك.

وورد أيضاً في وصف هذه الضغطة وشدَّتها أنَّ الميِّت يتعرَّض إلى ضمَّة الأرض، إلى الحدّ الذي تُفري لحمه، وتطحن دماغه، وتذيب دهونه، وتخلط أضلاعه، وتكون بسبب النميمة وسوء الخلق مع الأهل، وكثرة الكلام، والتهاون في أمر الطهارة.

وضغطة القبر هذه لا يسلم منها إلاّ قليل من الصالحين، غير أنَّها درجات في الشدة والألم والتخفيف، متناسبة مع عمل المرء وإيمانه.

فقد روي عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أيفلتُ من ضغطةِ القبرِ أحد؟ فقال عليه السلام: «نعوذُ باللهِ منها، ما أقلَّ من يفلتُ من ضغطةِ القبر».

المُنجيات من ضَغطَةِ القبر.

للنَّجاة من ضغطة القبر هناك الكثير من الأعمال التي حدثتنا عنها روايات أهل البيت عليهم السلام، ولكن علينا أن لا ننسى دائماً أن لا شفيع للمرء خيرٌ من عمله الصالح، وسنذكر عدة من الأعمال التي ذكرتها الروايات. منها:

- قراءة سورة النساء: رُوِيَ عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «مَن قرأَ سورةَ النساءِ في كلِّ جمعةٍ أُومِنَ من ضغطةِ القبر».
- قراءة سورة الزخرف: فقد رُوِيَ عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: «مَن أَدمَنَ قراءةَ "حم" الزخرف آمنهُ اللهُ في قبرِه من هَوامِّ الأرضِ وضغطةِ القبر».
- قراءة سورة ن والقلم: رُوِيَ عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «مَن قرأَ سورةَ ن والقلم في فريضةٍ أو نافلة... وأعاذه الله إذا مات من ضمَّة القبر».
- صلاة الليل: فقد رُوِيَ عن الإمام الرضا عليه السلام أنَّه قال: «عليكمْ بصلاةِ الليل، فما من عبدٍ يقومُ آخرَ الليلِ فيصلّي ثمانِ ركعات، وركعتي الشفع، وركعة الوتر، واستغفرَ الله في قنوتِه سبعينَ مرّةً إلاّ أُجيرَ من عذابِ القبرِ ومن عذابِ النار، ومُدَّ له في عمرِه، ووسّع عليه في معيشته».
- الدعاء: قراءة الدعاء ومنه دعاء: «أعددتُ لكلِّ هولٍ لا إله إلا الله، ولكلِّ همٍّ وغمٍّ ما شاء الله، ولكلِّ نعمةٍ الحمدُ لله، ولكلِّ رخاءٍ الشكرُ لله، ولكلِّ أعجوبةٍ سبحانَ الله، ولكلِّ ذنبٍ أستغفرُ الله، ولكلِّ مصيبةٍ إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، ولكلِّ ضيقٍ حسبيَ الله، ولكلِّ قضاءٍ وقدرٍ توكّلتُ على الله، ولكلِّ

عدوٍ اعتصمتُ بالله، و لكلِّ طاعةٍ ومعصيةٍ لا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم»،عشر مرات، وهو دعاء مرويٌّ عن النبيِّ الأكرم صلى الله عليه وآله.

- الدفن في النجف الأشرف: فمن خواصِّ هذه التربة الشريفة أنَّها تُسقط عذاب القبر وحساب منكرٍ ونكيرٍ عَمَّن يُدْفَن فيها.

ثالثًا: السؤال في القبر

إنَّ السؤال في القبر، وما يستتبعهُ من الرحمة أو العذاب، من الأمور المسلّمة عند أئمة أهل البيت عليهم السلام. فعن الإمام الصادق عليه السلام: «من أنكر ثلاثةَ أشياءٍ فليس من شيعتنا: المعراجُ، والمُساءلةُ في القبر، والشَّفاعة».

فعندما يُوضع بدنُ الإنسان في القبر، يبعث الله تعالى إلى الميِّت وهو في قبره ملكين، وهما منكر ونكير، فيُقعدانه ويسألانه عن ربِّه الذي كان يعبده، ودينه الذي كان يدين به، ونبيِّه الذي أُرسل إليه، وكتابه الذي كان يتلوه، وإمامه الذي كان يتولاّه،وعمره فيما أفناه، وماله من أين اكتسبه، وفيما أنفقه، فإن أجاب بالحقِّ استقبلته الملائكة بالروح والريحان، وبشَّرته بالجنَّة والرضوان، وفسحت له في قبره مدّ البصر، وإن تلجلج لسانه وعيي عن الجواب، أو أجاب بغير الحقِّ،أو لم يدرِ ما يقول، استقبلته الملائكة بنُزلٍ من حميم وتصلية جحيم، وبشَّرته بالنَّار.

وقد أوضح الإمام محمّد بن علي الباقر عليه السلام أصناف الناس في عالم القبر لأحد سائليه فقال: «لا يُسْأل في القبرِ إلاّ من محّضَ الإيمانَ محضاً، أو محّضَ الكفرَ محضاً، فقلت له: فسائر الناس؟

فقال: يلهى عنهم».

فالموتى في عالم البرزخ ثلاثة أصناف بحسب هذه الرواية:

صنف محّض الإيمان، فحسنَ دينه وعمله، وهم المؤمنون الصادقون. وهذا الصنف من الناس يُسأل في قبره، وينعَّم في عالم البرزخ حتى يوم القيامة.

صنف من الناس محّض الكفر محضاً، وهذا الصنف يُسأل في قبره فيُعاقب في ذلك العالم البرزخي.

أمّا الصنف الثالث فهم الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فهؤلاء مُرجَون إلى يوم القيامة، ولا يُسْألون في قبورهم.

ما يدخل مع الإنسان في قبره؟

يُستفاد من الروايات الشريفة أنَّ الأعمال التي يرتكبها الإنسان تتجسم معه في قبره فإن كانت صالحةً كان رفيقاً صالحاً، وإن كانت طالحةً كانت رفيقاً طالحاً، ففي الرواية أنَّ قيس بن عاصم وفد مع جماعة من بني تميم إلى النبي صلى الله عليه وآله، وطلب منه موعظةً نافعة

ومن جملة ما قال عليه السلام: «لابدّ لك يا قيس من قرين يُدفن معك وهو حي، وتُدفنُ معه وأنت ميِّت، فإن كان كريماً أكرمك، وإن كان لئيماً أسلمك، ثمَّ لا يُحشر إلاّ معك ولا تُبعثُ إلاّ معه، ولا تُسأل إلاّ عنه، فلا تجعلْهُ إلاّ صالحاً، فإنّه إن صَلُحَ أنَسْتَ به، وإنْ فَسُدَ لا تستوحشُ إلاّ منه، وهو فعلك».

ما ينفع الميِّت في قبره.

إنَّه وإن غيَّب الموت الأهل والأحباب والأقارب والمؤمنين، فإنَّ التواصل لا ينقطع بالمطلق بيننا وبينهم، بل تبقى روابط الخير والبرِّ تفعل فعلها، فتزيل كرباً عنهم، وتوسع عليهم في قبورهم، كما دلَّت على ذلك الروايات الشريفة، ففي الخبر: «كان الموتى يأتونَ في كلِّ جمعة من شهر رمضان فيقفون، وينادي كلُّ واحدٍ منهم بصوتٍ حزينٍ باكيًا: يا أهلاه! يا ولداه! ويا قراباتاه! اعطفوا علينا بشيء يرحمُكم الله، واذكرونا ولا تنسونا بالدعاء، وارحموا علينا وعلى غربتنا، فإنّا قدْ بقينا في سِجنٍ ضيق، وغمّ طويلٍ وشدّة، فارحمونا، ولا تبخلوا بالدعاء والصدقة لنا لعلّ الله يرحمُنا قبلَ أن تكونوا مثلنا. فوا حسرتاه قد كنّا قادرين مثلَ ما أنتم قادرون.

فيا عباد الله: إسمعوا كلامَنا ولا تنسونا فإنكم ستعلمونَ غدًا، فإنّ الفضول التي في أيديكم كانتْ في أيدينا، فكنّا لا نُنفقُ في طاعة الله، ومنعْنا عن الحقّ، فصار وبالاً علينا ومنفعةً لغيرنا. إعطفوا علينا بدرهم أو رغيف أو بكسرة. ثم ينادون ما أسرعَ ما تبكون على أنفسِكم ولا ينفعُكم كما نحنُ نبكي ولا ينفعُنا فاجتهدوا قبلَ أن تكونوا مثلنا».

ويلحق الميِّت في قبره ما يفعل من الخير من أقاربه، ويهدى إليه من أحبّته الأحياء، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «أهدوا لموتاكم». فقلنا: يا رسول الله! وما هديِّة الأموات؟ قال صلى الله عليه وآله: «الصدقةُ والدعاء».

خاتمة:

حضر الإمام علي الهادي عليه السلام في أحد الأيام الى مجلس المتوكل وكان بيد المتوكل كأس خمر، فناوله للإمام عليه السلام، فرفض . فطلب المتوكل من الإمام عليه السلام أن ينشد له شعراً ، فأنشد له الإمام عليه السلام قصيدة جميلة جداً تصور حال المتوكل ومن في مجلسه بعد الموت، وبعد ان سمع المتوكل هذه الأبيات بكى حتى ابتلّت لحيته بالدموع ، وبكى الحاضرون معه. والقصيدة هي:

بيت الغربة

باتوا على قللِ الأجبال تحرسُهم ... غُلْبُ الرجالِ فما أغنتهمُ القُلَلُ

واستنْزلوا بعدَ عزٍّ من معاقلِهم ... وأودعوا حفراً يا بئس ما نزلوا

ناداهمُ صارخ من بعد ما قبروا ... أين الأسرة والتيجانُ والحللُ

أين الوجوه التي كانتْ منعّمةً ... من دونها تُضربُ الأستارُ والكُللُ

فأفصحَ القبرُ عنهم حين ساءَلهم ... تلك الوجوه عليها الدودُ يَقْتَتِلُ

قد طالما أكلوا دهراً وما شربوا ... فأصبحوا بعد طول الأكلِ قد أُكلوا

وطالما عمّروا دوراً لتُحصنهم ... ففارقوا الدورَ والأهلين وارتحلوا

وطالما كنزوا الأموال وادّخروا ... فخلّفوها على الأعداء وانتقلوا

أضحت منازلُهم قَفْراً معطّلةً ... وساكنوها إلى الأجداث قد رحلوا

والحمدُ للّه رب العالمين

الملحق الثاني

السفر الطويل*

سنبحث في هذه المحاضرة خمسةً من أهوال يوم القيامة بالاستناد إلى الآيات القرآنية والروايات الشريفة، وسنتطرّق إلى المنجيات من بعض هذه الأهوال.

1 - النفخ في الصور

تحدَّث القرآن عن أول مرحلة من مراحل القيامة، وهي النفخ في الصور، هذه النفخة تصعق جميع المخلوقات، ومن ثمَّ تأتي النفخة الثانية لتجعلهم يُبعثون من جديد.

هو حدثٌ عظيمٌ، وأمرٌ جليل، كيف لا وهو مقدمةٌ وبدايةٌ ليوم القيامة، الذي يبثُّ الرعب في سائر البشر، إذ يصف الله تعالى حالهم في القرآن الكريم: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾[1].

ويُنفخ في الصور نفختان: النفخة الأولى، وتسمى: نفخة الصعق ـ الموت ـ وهي المذكورة في قوله تعالى: «وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ»[2]، وبسماع هذه النفخة يموت كلُّ من في السموات والأرض إلاَّ من شاء الله أن يبقيه.

وتأتي هذه الصيحة على حين غفلة من الناس وانشغال بالدنيا، كما قال تعالى: «مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ * فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ»[3].

أمَّا النفخة الثانية، فهي نفخة البعث،وهي المذكورة في قوله تعالى: «ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ»[4] وهي صيحةٌ توقظ الأموات ممّا هم فيه، ثم يحشرون بعدها إلى أرض المحشر، وهذه النفخة هي المقصودة بقوله تعالى: «وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ.»[5]

كيف يحشر الناس عند النفخة الثانية؟

تشير الروايات إلى أنَّ الناس ما بين النفختين في الصور يكونون على وصف أعمالهم من حيث النعيم أو الشقاء، ويُبعثون مبيضَّةً وجوههم أو مسودَّةً، بحسب ما كانوا يفعلون في الدنيا، فبعد أن يموت الناس جميعًا في النفخة الأولى، يقوم الناس على هذه الحالة عند

* جميع الأحاديث تم أخذها من كتاب رحلة الآخرة الصادر عن جمعية المعارف الإسلامية.

1. الحج: 2.
2. الزمر: 68.
3. يس: 50-49.
4. الزمر: 86.
5. يس: 51.

النفخة الثانية. ففي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا أرادَ الله أن يبعثَ الخلقَ أمطرَ السماءَ على الأرضِ أربعينَ صباحاً، فاجتمعت الأوصالُ ونبتت اللّحوم».

وقال: «أتى جبرائيلُ رسول الله صلى الله عليه وآله فأخذَ بيده وأخرجَهُ إلى البقيع فانتهى به إلى قبر، فصوّت بصاحبه فقالَ قمْ بإذنِ الله فخرجَ منه رجلٌ أبيضُ الرّأس واللّحية يمسحُ الترابَ عن رأسه وهو يقولُ: الحمدُ لله والله أكبر، فقال جبرائيلُ عُدْ بإذنِ الله تعالى، ثمّ انتهى به إلى قبرٍ آخر فقال: قم بإذنِ الله فخرج منه رجلٌ مسودُّ الوجه وهوَ يقول: يا حسرتاهُ يا ثبوراه، ثمّ قال له جبرائيل: عدْ إلى ما كنت فيه بإذنِ الله عزّ وجلّ فقال: يا محمد، هكذا يُحشرون يوم القيامةِ فالمؤمنونَ يقولون هذا القولِ وهؤلاء يقولون ما ترى».

كيف يؤثر الصوت في الصعق؟

إنَّ الله تعالى يأمر إسرافيل فينفخ في الصور نفخة قوية تكون سبباً في هلاك جميع المخلوقات، بما فيها الكائنات التي تعيش على كواكب أخرى خارج الأرض، لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي أنَّ هناك مخلوقات أخرى تنتشر في الفضاء الخارجي سوف تتأثر بهذا الصوت وتُصعق.

وهناك علاقة بين الصوت والصعق، لأنَّ الصوت المرتفع جداً يملك قوة تدميرية، ويمكن أن يحرق أكثر من النار نفسها!

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.[6]

يؤكِّد الباحثون في هذا المجال أنَّ الترددات الصوتيَّة عند قوَّة معيَّنة تكون مدمِّرة، وتفتِّت أيَّ شيء تصادفه حتى الصخور!

ولذلك قال تعالى عن عذاب ثمود: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾[7]، وهشيم المحتظر هو المرعى اليابس والمحترق والشوك.

2 - الخروج من القبر

الحشر إخراج الموتى من قبورهم، وسوقهم إلى الموقف للحساب والجزاء، والنشر إحياء الميت بعد موته.

إنَّ ساعة خروج الإنسان من القبر هي إحدى الساعات الثلاثة التي اعتبرتها الروايات الشريفة من أصعب وأوحش الساعات على أبناء آدم. وفي هذه الساعة يكون الناس على ثلاثة أقسام «وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً»:

6. فصلت: 17.
7. القمر: 31.

❁ أصحاب الميمنة: قال تعالى: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ وهم الأشخاص الذين يعطون صحيفة أعمالهم بأيديهم اليمنى، وهم طائفة السعداء وأهل الحبور والسرور.

❁ المجموعة الثانية وهم أصحاب المشأمة، قال تعالى «وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ»[8]، حيث الشؤم والتعاسة، واستلام صحائف أعمالهم بأيديهم اليسرى التي هي رمز سوء عاقبتهم وعظيم جرمهم وجنايتهم.

❁ المجموعة الثالثة وهم السابقون، فقد أشار إليها بقوله سبحانه: ﴿والسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[9].

والسابقون ليسوا الذين سبقوا غيرهم بالإيمان فحسب، بل سبقوهم في أعمال الخير والأخلاق والإخلاص، فهم أسوة وقدوة وقادة للناس.

حال الناس يوم الحشر

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «وذلك يومٌ يَجمَعُ اللّه فيه الأوّلينَ والآخرينَ لنقاش الحساب وَجزاءِ الأعمالِ خُضُوعاً قياماً، قد ألجَمَهُمُ العَرَقُ وَرَجَفَت بِهِمُ الأرضُ فأحسنُهُمْ حالاً من وجَدَ لقَدَميه مَوضعاً وَلنَفسه مَتَّسعاً».

عن الإمام الصادق عليه السلام: «مثلُ الناسِ يومَ القيامةِ إذا قاموا لربِّ العالمينَ مثلُ السهم في القربَ ليس له من الأرض إلاّ موضعُ قدمِه كالسهمِ في الكنانةِ لا يقدرُ أن يزولَ هاهنا ولا هاهنا».

فكما أنَّه في موضع السهم في الكنانة لا يوجد مجالٌ ليتحرك في كنانته لضيقها، فكذلك ضيق الإنسان في ذلك اليوم فلا يستطيع أن يتحرك عن موضع قدمه فليست لديه القدرة على ذلك.

مما يهوّن هول المحشر

وكما في كلِّ موقف من مواقف القيامة والبرزخ ما يهوِّنه، فإنَّ للمحشر وهوله ما يهوِّنه أيضاً حيث دلّتنا الروايات على أعمالٍ مهمَّة نافعة منها:

❁ تشييع الجنائز: فعن الإمام الصادق عليه السلام: «من شيَّع جنازةَ مؤمنٍ حتى يُدفنَ في قبرِه وكّلَ اللّه تعالى به سبعينَ ملكاً من المشيِّعين يشيِّعونه ويستغفرونَ له إذا خرج من قبرِه إلى الموقف».

8. الواقعة: 9.
9. الواقعة: 10 - 12

السفرالطويل

❁ تنفيس كربة مؤمن وإدخال السرور على قلبه: عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا بعث اللّه المؤمن من قبره خرجَ معه مثالٌ يقدّمه أمامه، كلّما رأى المؤمن هولاً من أهوال يوم القيامة قال له المثال: لا تفزعْ، ولا تحزنْ، وأبشرْ بالسرور والكرامة من اللّه عزّوجلَّ، حتّى يقفَ بين يدَيِ اللّه عزَّ وجلَّ فيحاسبَه حساباً يسيراً، ويأمرَ به إلى الجنّة والمثال أمامه. فيقولُ له المؤمن يرحمك اللّهُ نِعْم الخارجُ خرجت معي منْ قبري مازِلْتَ تبشّرني بالسرور والكرامة من اللّه حتّى رأيت ذلك. فيقول مَن أنت؟ فيقول: أنا السرور الذي كنتَ أدخلتَه إلى أخيك المؤمن في الدنيا خلقني اللّه عزَّ وجلَّ منه لأبشّرك».

❁ كسوة المؤمن: عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال: «مَن كسا أخاه كسوةَ شتاء أو صيف كان حقاً على اللّه أن يكسوَه من ثياب الجنّة وأن يهوِّن عليه سكرات الموت، وأن يوسع عليه في قبرِه وأن يلقى الملائكةَ إذا خرجَ من قبرِه بالبشرى وهوَ قولُ اللّهِ عزّ وجلّ في كتابه: «تتلقّاهم الملائكةُ هذا يومكمُ الذي كنتمْ تُوعدون».

❁ الدعاء في شهر رمضان المبارك: عن الإمام السجاد زين العابدين عليه السلام عن أبيه عن جده عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «...ومن دعا بنيَّة خالصة في أول شهر رمضان رزقهُ اللّهُ تعالى ليلةَ القدرِ وخلق له سبعينَ ألفَ ملكٍ يسبّحونَ اللّه ويقدسونَهُ وجعل ثوابهمْ له، وبعثَ اللّهُ له عند خروجه من قبرِه سبعينَ ألفَ ملكٍ مع كل ملكٍ نجيبٌ من نورٍ بطنُه من اللؤلؤ وظهرُهُ من الزبرجدِ وقوائمهُ من الياقوت ...»

3 - صحائف الأعمال

نَشر الصحف هو أحد الحوادث المهمَّة التي تحدث في يوم القيامة، وفيه تتطاير الكتب، وَتَطَايُرُ الكتب يعني: فتح صحائف الأعمال ونشرها: « وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا».[10] فحينها ينشغل فيها الإنسان عن أهله وأقاربه وأحبابه وأصدقائه: «يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ».[11]

ويمتاز هذا الكتاب بإحصائه جميع أعمال الإنسان الصغيرة والكبيرة، قال تعالى: «وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا»[12].

أخذ الكتب باليمين أو بالشمال: أشار القرآن الكريم إلى أنَّ الناس يأخذون كتبهم التي هي صحائف أعمالهم يوم القيامة، في عدّة حالات:

10. الإسراء: 13 ـ 14.
11. عبس: 34 ـ 37.
12. الكهف 49.

❁ أخذ الكتاب باليمين: قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيه * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيه﴾[13].

فإذا أخذ الإنسان كتابه بيمينه، فإنَّه يكون من الفالحين، وفي هذه اللحظة يبلغ أعلى درجات السعادة، وكأنَّه يريد أن يعلم كلُّ الحاضرين في الموقف بهذا الفوز.

❁ أخذ الكتاب بالشمال: وأما من يأخذه بشماله فهو من الخاسرين، ويكون في هذه اللحظة أسوء لحظة يمر بها، ويتمنى أن لا يعطَ الكتاب كي لا يصاب بهذا الخزي الكبير، يقول تعالى في محكم آياته واصفاً حالة الكافر: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَه بِشِمَالِه فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَآ أَغْنَى عَنِّي مَالِيَه* هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾.[14]

إنَّ حبّ أهل البيت عليهم السلام نافع في ذلك الموقف وحبُّ أهل البيت عليهم السلام يظهر أثره في الآخرة في مواطن الخوف والفزع الأكبر، ففي الرواية عن جابر عن الرسول المصطفى الأكرم صلى الله عليه وآله: «من رزقَهُ اللّهُ حبَّ الأئمة من أهل بيتي، فقد أصاب خير الدنيا والآخرة.. فلا يشُكّنَّ أحدٌ أنَّه في الجنة، فإنَّ في حبِّ أهل بيتي عشرين خصلة: عشرٌ منها في الدنيا، وعشرٌ في الآخرة، ... وأمَّا في الآخرة: فلا يُنشر له ديوان، ولا يُنصب له ميزان، ويُعطى كتابُه بيمينه، ويُكتب له براءةٌ من النار، ويبيّضّ وجهُه، ويُكسى من حللِ الجنة، ويشفعُ في مائة من أهل بيته، وينظر اللّه عزّ وجلّ إليه بالرَّحمة، ويُتوَّج من تيجان الجنة، والعاشرة يدخلُ الجنَّة بغير حساب، فطوبى لمحبِّ أهل بيتي».

وعن الإمام الرضا عليه السلام: « مَن زارني على بعد داري أتيته يوم القيامة في ثلاث مواطن حتّى أخلّصه من أهوالها: إذا تطايرت الكتب يميناً وشمالاً، وعند الصراط، وعند الميزان».

4 - الصراط

ما هي حقيقة الصراط ؟

يقول سبحانه: «وَ إِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم * وإِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ»[15].

يُستفاد من الروايات الشريفة، أنَّ الصراط جسر على جهنَّم في طريق الجنَّة، ويرده كل برٍّ وفاجرٍ، فالأبرار يمرُّون عليه بسرعة، أمَّا الفجَّار فتزلُّ أقدامهم ويتردّون في نار جهنَّم.

وقد ورد في الروايات أنَّه أدقُّ من الشعرة، وأحَدُّ من السيف، وأشدُّ حرارة من النَّار، وأنَّ المؤمنين الخلَّص يمرُّون عليه بسهولة، كالبرق الخاطف، بخلاف البعض الآخر.

فعن الإمام الصادق عليه السلام: «النَّاس يمرُّون على الصراط طبقاتٍ، والصراطُ أدقُّ من الشعر،

13. الحاقة: 19 . 33.
14. الحاقّة: 25 . 29.
15. المؤمنون: 73 . 74.

وأحدُّ من السيف، فمنهم من يمشي عليه مثلَ البرق، ومنهم من يمرُّ عليه مثلَ عدْوِ الفرس، ومنهم من يمرُّ حبواً، ومنهم من يمرُّ مشياً، ومنهم من يمرُّ متعلِّقًا قد تأخذُ النَّار منه شيئاً وتتركُ شيئاً».

ممَّا يسهِّل عبور الصراط

من الأمور التي تسهِّل على المارِّ على الصراط مروره واجتيازه، وتقوده للنجاح والوصول للجنّة:

❁ التمسُّك بالرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام: ورد عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «إذا كانَ يومُ القيامةِ ونُصبَ الصراطُ على جهنَّم، لم يجزْ عليه إلا من كان معه جوازٌ فيه ولايةُ عليِّ بنِ أبي طالب».

❁ صوم أيام من رجب: رُوِيَ عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «... ومن صام من رجب ستَّةَ أيام، خرجَ من قبرِه ولوجهه نورٌ يتلألأ أشدَّ بياضاً من نورِ الشمس، وأعطى سوى ذلك نوراً يستضئُ به أهلُ الجمعِ يومَ القيامة، وبُعثَ من الآمنين يومَ القيامة، حتى يمرَّ على الصراطِ بغيرِ حساب».

❁ الصلاة مخصوصة: وتكون في الليلة التاسعة والعشرين من شعبان، فعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «مَن صلّى في الليلة التاسعة والعشرينَ من شعبانَ عشرَ ركعات، يقرأُ في كلِّ ركعة فاتحةَ الكتاب مرّة، وألهاكُم التكاثرُ عشرَ مرّات، والمعوذتين عشرَ مرّات، وقلْ هوَ اللّهُ أحدٌ عشرَ مرّات، أعطاهُ اللّه تعالى ثوابَ المجتهدين، وثقَّل ميزانه، ويخفِّفُ عنه الحساب، ويمرُّ على الصراط كالبرق الخاطف».

5 - يوم الحساب

وهو من المواقف المهولة يوم القيامة، يقول الله تعالى: «إِقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسابُهُم وهُم فِي غَفْلَة مُعْرِضُون»[16].

تصف الآية الكريمة يوم القيامة بأنَّه يوم الحساب، والحساب الإلهي في عالم الآخرة هو عبارة عن الموازنة بين ما عمله الإنسان من حسنات وما عمله من سيئات، ليكشف للإنسان ما له وما عليه فيجازى به، وتُكشف فيه الصحف والسرائر، ويتجسّد أمام كلِّ فرد عمله، فيراه بكامل تفاصيله وجزئياته، يقول الله تعالى: «ليجزي اللّه كُلَّ نفس ما كسَبَت إنَّ اللّه سريعُ الحساب»[17].

فهناك تحلُّ عليه الندامة، لكنَّ الندامة هنا لا تقارن بندامة المرء في

16. الأنبياء: 1.
17. إبراهيم: 15.

الدنيا، ففي يوم الحساب لا رجوع لتصحيح الأوضاع، لذلك يكون الندم في غايته، وتكون الحسرة في أعلى درجاتها، يقول الله تعالى: «وأَسرُّوا النَّدامةَ لمّا رَأوا العذابَ وَقُضِيَ بَينَهُم بِالقِسطِ »[18].

أنواع الحساب وأصناف المحاسبين

والحساب في يوم القيامة أنواع:

- الحساب اليسير والرحمة الإلهية: وهو أن يخلو الله تعالى بعبده؛ فيعاتبه حتى ليكاد العبد يذوب حياءً من ربِّه، ويفيض عرقه خجلًا من مولاه، ثم يغفر الله له، ويرضى عنه بمنِّه وكرمه.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «إنَّ اللّٰه تبارك وتعالى إذا أرادَ أنْ يحاسب المؤمنَ أعطاهُ كتابَهُ بيمينه وحاسبَه فيما بينَه وبينه، فيقولُ: عبدي فعلتَ كذا وكذا وعملتَ كذا وكذا فيقولُ: نعم يا ربِّ قدْ فعلتُ ذلك. فيقولُ: قد غفرتُها لك، وأبدلتُّها حسنات، فيقول الناس: سبحان اللّٰهِ أما كانَ لهذا العبد سيئةٌ واحدة!!! وهو قول الله عزّ وجلّ: فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا».

- الحساب العسير: وهو الحساب الشديد والدقيق، فإنَّه سبحانه يحاسب الَّذي يكون مجمل مسيرته الفساد وفعل الفواحش الكبيرة حساباً عسيراً لا تغفرُ فيه سيئة، بل تتضاعف.

وردت روايات الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام في أصناف من الناس لا يحاسبون، فمنهم من يدخل الجنَّة بغير حساب، ومنهم من يدخل النَّار بدون حساب ولا ميزان وهم أهل الشرك.

ما يطوّل الحساب؟

كلَّما خفّف الإنسان من أمر الدنيا، كلَّما قلَّ وقوفه للحساب، وكما قيل فاز المخفون، وكلَّما ازداد منها كلَّما طال وقوفه، وهذا ما ترشد إليه الرواية التالية:

عن الإمام الصادق عليه السلام: « إذا كان يومُ القيامة وقفَ عبدانِ مؤمنانِ للحساب، كلاهُما من أهلِ الجنَّة: فقيرٌ في الدنيا، وغنيٌّ في الدنيا، فيقولُ الفقير: يا ربِّ على ما أوقفُ، فوعزَّتك إنَّك لَتعلمُ أنَّك لم تُولِني ولايةً فأعدلَ فيها أو أجور، ولم ترزقْني مالاً فأؤدّي منه حقاً أو أمنع، ولا كانَ رزقي يأتيني منها إلاّ كفافاً على ما علمْتَ وقدَّرتَ لي.

فيقول الله جلّ جلاله: صدَق عبدي خلوّا عنه

18 . يونس: 54.

يدخلُ الجنَّة.

ويبقى الآخرُ حتّى يسيلَ منه العرقُ ما لو شربَه أربعونَ بعيراً لكفاها، ثم يدخلُ الجنَّة.

فيقول له الفقير: ما حبسك؟

فيقول: طولُ الحساب. مازال الشيء يجيئُني بعد الشيء يغفر لي، ثمَّ أُسأل عن شيءٍ آخر حتّى تغمّدني الله عزّوجلَّ برحمته، وألحقني بالتائبين.

فمن أنت؟

فيقول: أنا الفقير الذي كنت معك آنفاً»

ما يُسأل عنه الإنسان يوم القيامة:

- رُوِيَ عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تزولُ قَدَما عبدٍ يومَ القيامة حتّى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وشبابِه فيما أبلاه، وعن مالِه من أين كَسبَه، وفيما أنفقه، وعن حُبِّنا أهل البيت»

- الصلاة: فعن الإمام الباقر عليه السلام: « إنَّ أوّل ما يُحاسب به العبدُ الصلاة، فإن قُبلت قُبل ما سواها».

- الحواس واستعمالها: قال وتعالى: «وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً»[19]، وهذه الحواس تشهد على صاحبها بما فعله بها، إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

- الدَيْن: ففي الرواية عن أحد الصادقين عليهما السلام ، قال: «يُؤتَى يومَ القيامة بصاحبِ الدَّين يشكو الوحشة، فإنْ كانت له حسناتٌ أُخذَ منها لصاحب الدَّين... وإنْ لم تكنْ له حسناتٌ أُلقي عليه من سيِّئاتِ صاحبِ الدَّين».

- الحقوق والمظالم: فعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله:«أتدرونَ ما المفلس؟» قالوا: «المفلسُ فينا من لا درهمَ له ولا متاعَ عنده». فقال الرسول صلى الله عليه وآله: «كلّا المفلسُ من يأتي يومَ القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شَتَم هذا وقذفَ هذا وأكلَ مالَ هذا وسفكَ دمَ هذا وضربَ هذا، فيعطيَ هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فَنيتْ حسناتُه قبلَ أن يقضي ما عليه أُخذَ من خطاياهُم فطُرِحتْ عليه ثم طُرِحَ في النَّار».

ما يهوّن الحساب:

ورد في حديث عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «ثلاثٌ من كنَّ فيه حاسَبَهُ اللّٰهُ حساباً يسيراً، وأدخلَه الجنَّة برحمته» قالوا: وما هي يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وآله: «تعطي من حَرَمَك وتصلُ من قَطَعَك، وتعفُو عمنْ ظَلَمَك».

رُوِيَ أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام قال لنوف: «يا نوف، صِلْ رَحِمَكَ يزدِ اللّٰهُ في عُمرِك، وحسّنْ خُلقَكَ يخففِ اللّٰه حسابَك».

19 . الإسراء: 36.

الملحق الثالث

أصحاب اليمين وأصحاب الشمال*

الجنّة

كلنّا يبحث عن السعادة، ولكن لا توجد سعادة كاملة في الدنيا، فالدنيا زائلة، والسعادة الحقيقية في الجنَّة ونعيمها...

والجنَّة دار جعلها اللّه تعالى مستقرّاً لمن أطاعه، «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ».[1]

وهي المرحلة النهائيَّة لرحلة الإنسان المؤمن، حيث هي دار القرار، ومبدأ الحياة الأبدية، التي لا زوال عنها، وهي غاية المؤمنين، ولها يعملون إذ لا نعيم يدانيها، بل كلُّ نعيم دونها محقُور، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: « وكلُّ نعيم دونَ الجنَّة محقُور».

وهناكَ آياتٌ كثيرةٌ تتحدث عن خواص الجنة وأصحابها، والنِّعم الموجودة فيها من الحدائق، والأنهار، والأطعمة، والأشربة الطهورة، والألبسة، والحور العين، والولدان المخلَّدين، والخدم، والإحترام، والإكرام المنقطع النظير من الملائكة، وكذلك المواهب المعنويَّة واللذائذ الروحية.

فما هي الجنة، وماذا أعدَّ الله لأهلها؟

الوصف العام للجنَّة

لأنَّ الجنَّة فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ولأنَّها كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2].

فلذلك فإنَّ الله تعالى لا يصف الجنة بما هو واقعها، وإنَّما يصفها على نحو التقريب فيقول عزَّ وجلَّ: ﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وِظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾[3].

خصائص نعيم الجنة

إنَّ الجنَّة لا تفنى ولا تبيد، والدليل على هذا ظاهر في كتاب الله عزَّ

* جميع الأحاديث تم أخذها من كتاب رحلة الآخرة الصادر عن جمعية المعارف الإسلامية.

1 - البروج: 11.
2 - السجدة: 17.
3 - الرعد: 35.

وجلَّ، قال تعالى عن الجنة: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[4]، والإقامة في الجنَّة إقامةٌ دائمة لا تنتهي ولا تزول.

أبواب الجنة

تحدثت الروايات الشريفة الواردة عن أهل البيت عليهم السلام عن أبواب الجنة، ومن ذلك ما رُوِيَ عن الإمام الصادق عليه السلام، عن أبيه، عن جده، عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «إنَّ للجنة ثمانيةَ أبواب: بابٌ يدخلُ منه النبيّون والصدِّيقون، وبابٌ يدخلُ منهُ الشهداءُ والصالحون، وخمسةُ أبوابٍ يدخلُ منها شيعتُنا ومُحبُّونا، فلا أزال واقفاً على الصِّراط أدعو، وأقول: ربّ سلِّمْ شيعتي ومحبيَّ، ومنْ تولاني في دار الدنيا، فإذا النداءُ من بطنان العرش: قد أجيبت دعوتُك وشَفَعْتَ في شيعتك. ويشفعُ كلّ رجلٍ من شيعتي ومنْ تولّاني، ونصرَني، وحاربَ مَن حاربني بفعلٍ أو قول في سبعين ألفاً من جيرانه وأقربائه. وبابٌ يدخلُ سائر المسلمين ممّن يشهدُ أن لا إله إلّا اللّه ولم يكنْ في قلبهِ مقدار ذرّةٍ من بغضنا أهل البيت ».

درجات الجنَّة

للجنَّة درجات بعضها فوق بعض، وأهلها متفاضلون فيها بحسب منازلهم فيها، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾[5].

أنواع الجنَّة

الجنَّات نفسها متنوعة، فهناك جنَّات الفردوس، وجنَّات عدن، وجنَّات نعيم.. وهناك دار الخلد، ودار السلام، وجنَّة المأوى، وهناك عليِّون الذي هو أعلى وأفضل الجنَّات.

غرف الجنَّة

للجنَّة غرفٌ فوق بعضها كما في جاء في القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾[6].

وفي تفسير هذه الآية ما رُوِيَ عن الإمام الباقر عليه السلام: فيما سألَ به أميرُ المؤمنين عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله عنه: «... فقال علي عليه السلام: بماذا بنيت يا رسول الله ؟»

فقال صلى الله عليه وآله: « يا علي، تلكَ غرفٌ بناها الله عزّ وجلّ لأوليائه بالدرِّ والياقوت والزبرجد، سقوفُها الذهب، محبوكةٌ بالفضة، لكلِّ غرفةٍ منها ألفُ بابٍ من الذهب، على كلِّ بابٍ منها ملكٌ موكّل به».

4 - هود: 108.
5 - طه: 75.
6 - الزمر: 20.

أما طعام أهل الجنَّة، فهو فاكهة ممَّا يتخيَّرون، ولحم طير مما يشتهون، ولا يكون أثر الطعام هناك كأثر الطعام في الدنيا، فأهل الجنَّة لا يبصقون ولا يمتخظون ولا يتغوطون ولا يبولون، وحاجةُ أحدهم جُشاء ورشحٌ كرشح المسك.

وفواكه الجنة وثمارها في متناول أيادي أهل الجنة، وأنّى شاءوا، فما أن يشتهي المؤمن فاكهة ما حتى يهبط إليه غصنها وتقترب الثمرة المطلوبة عند فمه، فهو لا يحتاج إلى النطق والإفصاح عن حاجته أو رغبته أبداً كما قال تعالى: ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾[7]، ومعنى كلمة (دان) هو قريب، وهي مشتقة من الدنو فإنَّ ثمار الجنتين وفواكههما قد دنت إلى المؤمن وأضحت في متناول يده وعند رغبته.

متاع أهل الجنة وملبسهم

وأما لباس أهلها، فهو الحرير والذهب والسندس والإستبرق، قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾[8]، ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾[9].

وأما فرشها، فمن إستبرق مفروشة في أعلى الرتب، يقول سبحانه وتعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾[10].

وأما الأرائك فهي الأسرَّة ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾[11].

أنهار الجنَّة وعيونها

وهي مطلب لراحة النفس في الدنيا على ما فيها من مكدّرات، فكيف إذا كانت في ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وقد تكرر في القرآن الكريم في عدة مواضع قوله تعالى ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾[12].

وهذا يدلّ على أنَّها أنهارٌ حقيقية، وأنَّها جارية لا واقفة، وأنَّها تحت قصورهم، وقد ذكر تعالى في آية واحدة أربعة أجناس من الأنهار قال عزَّ وجلَّ: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ

7. الرحمن: 54.
8. الحج: 23.
9. الكهف: 31.
10. الرحمن: 54.
11. الغاشية: 13 ـ 16.
12. البقرة: 25.

مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ...﴾[13].

النعم الروحيَّة

إضافة إلى كلِّ ما ذكر من الملذات الجسمانية، فهناك ملذَّات ونعم روحيَّة كانت في الدنيا أملاً وأمنية، وهي لقاء رسول الله الأكرم محمدﷺ وآله الأطهار عليهم السلام، ومجاورتهم والاتصال بهم، كما روي عن رسول اللهﷺ إذ يقول لأمير المؤمنين عليه السلام: « وإنَّك أولُ من يردُ عليَّ الحوض، وإنَّك على الحوض خليفتي، وإنَّك أولُ من يُكسى معي، وإنَّك أولُ داخلٍ الجنَّة من أمّتي، وإنَّ شيعتَك على منابرَ من نورٍ مبيضَّةٌ وجوهُهُمْ حولي أشفعُ لهم، ويكونون غداً في الجنَّة جيراني» والأعظمُ من كلِّ ما ذكر مكالمة الله سبحانه وتعالى لعبده المؤمن، يقول الله تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾[14].

13. محمد: 15.
14. يس: 58.

جهنّم

هي دارٌ أعدَّها الله لمن كفر به، ولمن آمن به وعصاه، وهم الذين ألبسوا إيمانهم بظلم، وفيها ألوان من العذاب لا يطيقها هذا الإنسان الضعيف.

أبواب جهنَّم ودركاتها

ذكرت بعض الآيات أنَّ لجهنَّم أبواباً كما للجنَّة أبواباً، ولكن هناك آية وحيدة ذكرت عدد أبواب جهنَّم، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾[15].

فما المراد من الأبواب؟ هل هي طرق دخول الناس إلى جهنَّم؟ أم أنَّ المقصود هو طبقاتها ودركاتها التي ذكرتها الكثير من الروايات ؟

لدى المفسرين في هذا قولان:

القول الأول:

❁ إنَّها سبع طبقات: بعضها فوق بعض، وتسمى تلك الطبقات بالدركات، ويدل على كونها كذلك قوله تعالى:

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾[16]. يطلق في اللغة العربية على الخطوات الصاعدة نحو الأعلى اسم (الدرجة) وعلى النازلة إلى الأسفل اسم (الدركة). وهناك روايات عديدة وردت عن أهل البيت عليهم السلام تشهدُ على هذا التفسير. منها ما رواه في المجمع عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «أنَّ جهنَّم لها سبعةُ أبوابٍ أطباقٍ بعضُها فوق بعض. ووضعَ إحدى يديه على الأخرى. فقال عليه السلام: هكذا وإنَّ الله وضعَ الجنانَ على العرض، ووضع النّيرانَ بعضَها فوقَ بعض، فأسفلُها جهنَّم، وفوقُها لظى، وفوقُها الحطمة، وفوقُها سقر، وفوقُها الجحيم، وفوقُها السعير، وفوقُها الهاوية، قال وفي رواية أسفلُها الهاوية، وأعلاها جهنَّم».

❁ والقول الثاني: إنَّ قرارَ جهنَّم مقسومٌ سبعةُ أقسام: ولكلِّ قسم بابٌ أولها: جهنَّم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السَّعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية. وقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾[17].

معناه: أنَّه تعالى يجزّئ أتباع إبليس أجزاء، بمعنى أنَّه يجعلهم أقساماً وفرقاً، ويدخل في كلِّ قسم من أقسام جهنَّم طائفة من هؤلاء الطوائف.

والخلاصة أنَّ أعمال الإنسان مختلفة، وأصناف المجرمين والكفار متباينة فيما بينها، لهذا فإنَّ عقوباتهم في العالم الآخر غير متساوية، وتختلف فيما بينها اختلافاً شاسعاً.

15. الحجر: 43. 44.
16. النساء: 145.
17. الحجر: 44.

وصف بالإجمال لعذاب النَّار

إنَّ أهل النَّار في عذاب دائم، لا راحة ولا نوم، بل من عذاب إلى عذاب، وهم يتمنون الموت فلا يموتون! قد اسودَّت وجوهُهم، وأُعميتْ أبصارُهم، وأُبكِمتْ ألسنتهم، وقُصمتْ ظهورهم، وبدِّلت وجوههم بالسواد، وضُربوا بمقامع من حديد، عليها ملائكة غلاظ شداد، فحزنُهم دائم فلا يفرحون، ومقامهم دائم فلا يبرحون «يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ»،[18] ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ * فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾[19]، وهم ينادون الله ويدعونه ليخفف عنهم هذا العذاب فيأتيهم الجواب: ﴿اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[20].

رُوِيَ عن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال: «وأمَّا أهلُ المعصية فخُلِّدوا في النار، وأُوثقَ منهمُ الأقدام، وغُلَّ منهمُ الأيدي إلى الأعناق، وأُلبسَ أجسادُهم سرابيلَ القطران، وقُطِّعت لهم منها مقطّعات من النَّار، وهمْ في عذابٍ قدْ اشتدَّ حرُّه، ونارٍ قد أُطبقَ على أهلها، فلا يُفتحُ عنهم أبداً ولا يَدخلُ عليهم ريحٌ أبداً، ولا ينقضي منهم عمرٌ أبداً، العذابُ إبتداءً شديد، والعقابُ أبداً جديد، لا الدارُ زائلةٌ فتفنى، ولا آجال القومُ تقضى، ثمّ حكى نداء أهل النَّار، فقال: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾[21]، قال: أي نموت، فيقول مالك ﴿إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾[22]».

طعام أهل النَّار وشرابهم

إنَّ أهل النار يأكلون ويشربون تماماً كأهل الجنَّة، ولهم ألوان خاصة من الأطعمة والأشربة، ولكنَّها كلّها لا تغني من جوع، ولا تروي من ظمأ.

وأحد تلك الأطعمة «الزقوم»، وهي شجرة عظيمة مهيبة تنبت في قعر جهنَّم ولها ثمر، قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾[23]، وهي كمَا وصفها المولى عزَّ وجلَّ في كتابه ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾[24].

وهي اسم لعشب مُرٍّ كريهِ الرائحة له أوراقٌ صغيرة، وهو عشب عصارته شديدة المرارة وحادة الطعم إذا لامس الجسم تورم.

أما «الضريع» فهو كالزقوم، يقطع الأحشاء من شدة حرارته، ولا يتجرَّعه المجرمون من فرط مرارته.

وأما الغسَّاق كما قوله تعالى: ﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾[25]، قيل: «الغسَّاق»: القيح الغليظ المنتن.

18. المائدة: 37.
19. الهمزة: 8. 9.
20. المؤمنون: 108.
21. الزخرف: 77.
22. الزخرف: 77.
23. الدخان: 34. 64.
24. الصافات: 56.
25. ص: 75.

وأما الأشربة الوارد ذكرها في القرآن الكريم، فمنها (الحميم)، ومعنى كلمة (الحميم) هو الماء المغلي، أمّا كلمة (آن) فهي تعني (بالغ) وهي صفة للحميم، فماء جهنَّم يصل إلى أقصى درجات السخونة والغليان بحيث أنَّ حرارته تقطع لحم وجه الإنسان، يقول تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا﴾[26].

كما أنَّه يقطع الأمعاء: ﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاء حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ﴾[27].

أمَّا (الغسلين) الذي ذكرته الآية الشريفة: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ * وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ * لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِؤُونَ﴾[28]. المعروف بين المفسِّرين وأصحاب اللغة أنَّه دم يشبه الماء يخرج من أبدان أصحاب النَّار، وبما أنَّه يشبه الماء الذي يغسل فيه الانسان، سمي بـ (الغسلين) وشرابهم فيها ماء صديد، قال تعالى: ﴿وَاسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * مِّن وَرَآئِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِن مَّاء صَدِيدٍ﴾[29]، (دم و قيح) يتجرَّعه (يشربه غصباً) ولا يكاد يسيغه.

لباس أهل النّار

وكما في النَّار طعام وشراب ففيها أيضاً اللباس، وليس اللباس لوقايتهم من الحرِّ، وإنَّما هو زيادة في العذاب، قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾[30]، فهي ثياب من نار.

وقال تعالى: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾[31].

بعض أنواع عذاب أهل النَّار

يتعرض أهل النَّار لأنواع أليمة من العذاب الإلهيّ، وسنتحدث عن بعض ما جاءت به آيات الكتاب العزيز عن هذه الأنواع من العذاب:

- إنضاج الجلود: إنَّ نار الجبَّار سبحانه وتعالى تحرق جلود أهل النَّار، والجلد موضع الإحساس بألم الإحتراق، ولذلك فإنَّ الله يبدِّل لهم جلودا أخرى غيرها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[32].

26. الكهف: 29.
27. محمد: 51.
28. الحاقة: 53 ـ 73.
29. إبراهيم: 51 ـ 61.
30. الحج: 91.
31. إبراهيم: 49 ـ 50.
32. النساء: 56.

- الصَّهر: وهو صبُّ الحميم فوق رؤوس أهل النار، والحميم هو ذلك الماء الذي لا يُتصوَّر مقدار حرارته، فلشدة حرارته تذوب أمعاؤهم وما حوته بطونهم: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾[33].

- اللفح: إنَّ النَّار تلفح وجوه ساكنيها، ولا يجدون حائلاً يحول بينهم وبينها: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾[34].

- السحب: ومن أنواع العذاب الأليم سحبُ الكفار على وجوههم في النَّار، يقول تعالى واصفاً هذه الحالة: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ * يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾[35].

من ألوان العذاب الروحيّ

يتعرض أهل النَّار لعذاب من نوع آخر، غير العذاب الجسديّ الذي ذكرنا بعضه، وهو العذاب الروحيّ وقد ذكر القرآن الكريم بعض الأمثال لهذا العذاب منها:

المهانة: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[36]. تدل هذه الآية وغيرها أنَّ عذاب الجحيم مقرون بأنواع الإهانة والتحقير والاستهانة والغم والحزن الذي يعاني منه أصحاب جهنَّم وهو ما يعكس آلامهم النفسية، ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾[37]، فيقوم خزنتها بإرجاعهم إليها ليذوقوا العذاب.

شدّة اللوم والتقريع: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾[38]، فيقال لهم من قبل الله تعالى: ﴿قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[39]. وقد صرح أصحاب اللغة والمفسِّرون بأنَّ كلمة (إخسأ) تعبير يستخدم لطرد الكلب، وأنَّ استخدامه هنا فيه دلالة على احتقار هؤلاء الظلمة والمستكبرين.

الحسرة: قال تعالى: ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[40].

33. الحج: 19 ـ 20.
34. الأنبياء: 39.
35. القمر: 47 ـ 48.
36. الحج: 57.
37. الحج: 22.
38. المؤمنون: 107.
39. المؤمنون: 108.
40. سبأ: 33.

وقال عزَّ من قائل ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا﴾[41].

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل الجنّة وأن يبعدنا عن النار بمحمدٍ وآله الأطهار(صلوات الله عليهم أجمعين)، والحمد لله ربّ العالمين.

41. الفرقان:27. 29.

الملحق الرابع

من كبائر الذنوب

قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا﴾[1]

تشير الآية الكريمة إلى مجموعة من الذنوب لها خطورة استثنائية على مصير الإنسان وعاقبته وجزائه في الآخرة، لذا سميت بـ «الكبائر».

من كبائر الذنوب: اليأس من روح الله، والأمن من مكره، والكذب عليه أو على رسوله وأوصيائه عليهم السلام، وقتل النفس التي حرمها الله إلا بالحق، وعقوق الوالدين، وأكل مال اليتيم ظلماً، وقذف المحصنة، والفرار من الزحف، وقطيعة الرحم، والسحر، والزنا، واللواط، والسرقة، واليمين الغموس، وكتمان الشهادة، وشهادة الزور، ونقض العهد، والحيف في الوصية، وشرب الخمر، وأكل الربا، وأكل السحت، والقمار، وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله من غير ضرورة، والبخس في المكيال والميزان، والتعرّب بعد الهجرة، ومعونة الظالمين والركون إليهم، وحبس الحقوق من غير عذر، والكذب، والكبر، والإسراف، والتبذير، والخيانة، والغيبة، والنميمة، والاشتغال بالملاهي، والاستخفاف بالحج، وترك الصلاة، ومنع الزكاة، والإصرار على الصغائر من الذنوب. وأما الشرك بالله تعالى وإنكار ما أنزله ومحاربة أوليائه فهي من أكبر الكبائر.

فيما يلي مجموعة من هذه الذنوب الكبيرة، سنبيّن حقيقتها وأسبابها وآثارها وكيفية إجتنابها، لعلّ الله تعالى يوفقنا لأن نكون مصداقاً لمن يجتنب كبائر الذنوب، فتُكَفَّر عنّا سيئاتنا ونفوز بالكرامة في الآخرة.

1 - اليأس من روح اللّه

لا يوجد ذنب أكبر من اليأس إلا الشرك بالله، لأن كل ذنب يرتكبه الإنسان يمكن أن يكون في صدد الندم عليه والتوبة فيُغفر له بالاستغفار، ولكن لا يُغفر لليائس لأنه لا يأمل بعفو ومغفرة الله.

كما أن اليأس يسبب الجرأة على جميع المعاصي لأن اليائس يقول لنفسه: إذا كان مصيري العذاب فلماذا أحرم نفسي من شهوات الدنيا.

1. سورة النساء/31.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: « أعظمُ البلاء انقطاعُ الرجاء»[2].

أنواع اليأس

أ - اليأس الأُخروي:

بمعنى أن ييأس الإنسان من رحمة الله وغفرانه، قال تعالى:
﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[3].

علاج اليأس الأخروي: هناك عدَّة أمور يمكن أن تكون علاجاً لحالة اليأس الأخروي:

- باب التوبة مفتوح: عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «التائبُ من الذنبِ كمنْ لا ذنبَ له»[4].
- الإيمان بالشفاعة: الإيمان بالشفاعة يفتح أمام الإنسان نافذة نحو النور، ويبعث فيه الأمل بالعفو والصفح، وهذا الأمل يجعله يسيطر على نفسه، ويعيد النظر في مسيرة حياته، بل ويشجعه على تلافي سيئات الماضي.
- تحذير: بين الخوف والرجاء: صحيح أنَّ اليأس من رحمة الله من الكبائر، إلَّا أنَّ الأمن من مكر الله وعذابه أيضاً من الكبائر. ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[5].

يعتبر القرآن الكريم أن من صفات المؤمنين الخوف والرجاء من الله تعالى؛ فلا يأمنون غضب الله تعالى، ولا ييأسون من رحمته، والتوازن بين الخوف والرجاء هو ضمان تكاملهم وسلوكهم في الطريق إلى الله تعالى.

ب - اليأس الدنيوي:

بمعنى أن ييأس الإنسان من الفرج الإلهي.

علاج اليأس الدنيوي:

- التفاؤل: روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «الطِّيَرَة شرك»[6]، «تفاءلوا بالخير تجدوه».
- الدعاء: عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «أفضلُ العبادة الدعاء، فإذا أذن الله للعبدِ في الدعاءِ فتحَ له بابَ الرحمة، إنه لن يَهلكَ مع الدعاءِ أحد»[7].
- الأمل بالنصر (المدد الإلهي): قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ* وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ

2. الريشهري منتخب ميزان الحكمة، الحديث 6806، ص557.
3. سورة الزمر/53.
4. الريشهري، منتخب ميزان الحكمة، الحديث 974، ص89.
5. سورة الأعراف/97.
6. الريشهري ميزان الحكمة، ج2، ص1760.
7. الريشهري، منتخب ميزان الحكمة، الحديث 2902، ص081.

يَسْتَهْزِؤُونَ * كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ * لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾[8]. نجد القرآن الكريم يبعث الأمل بالنَّصر في نفوس المسلمين، ويحثهم إلى عدم التراجع أمام المشاكل والعراقيل التي يدبِّرها الأعداء.

- الانتظار ودوره في معالجة اليأس: إن الَّذي ينعش الأمل في نفوس المؤمنين ويدعوهم إلى المقاومة والصبر وعدم الذوبان والإنحلال في المحيط الفاسد هو رجاؤهم بالاصلاح النهائي، فهم في هذه الحال لا يسأمون عن الجد والمثابرة.
- العلم بأن مع العسر يسراً: يقول تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا* إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[9]. عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «واعلم أنَّ مع العسرِ يسراً، وأنَّ مع الصبرِ النَّصر، وأنَّ الفرجَ مع الكرب»[10].

2 - الكذب

الكذب مفتاح الخبائث..

عن الإمام العسكري عليه السلام: « جُعلت الخبائثُ كلُّها في بيت واحد وجُعلَ مفتاحُها الكذب »[11].
عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنِ المؤمنَ إذا كَذَبَ بغير عذر لعنهُ سبعونَ ألفَ ملك وخَرجَ من قلبِه نتنٌ حتى يبلغَ العرشَ وكتبَ الله عليه بتلكَ الكذبةِ زنيةً أهونُها كمنْ زنى بأمِّه»[12].

قبائح الكذب

الآيات والأخبار الواردة في الكذب وشدة عقوبته ومفسدته ومضرته كثيرة منها:

- الكذب يتناقض مع الإيمان: يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾[13].
- الكذب من علامات النفاق: كما ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله: «ثلاثُ خصالٍ من علاماتِ المنافق: إذا حدّث كذب، وإذا ائتُمن خان، وإذا وَعَدَ أخلفَ»[14].
- الكذب سبب الخذلان الإلهي: وهو سببٌ للحرمانِ من الهداية الإلهية كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾[15]. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾[16].

8. سورة الحجر/11.31.
9. سورة الانشراح/5-6.
10. تفسير نور الثقلين، ج5، ص406، الحديث11.
11. دستغيب، الذنوب الكبيرة، دستغيب، ج1، ص632.
12. دستغيب، الذنوب الكبيرة، دستغيب، ج1، ص632.
13. سورة النحل/501.
14. دستغيب، الذنوب الكبيرة، ج1، ص240.
15. سورة الزمر/ 3.
16. سورة غافر/28.

- الحرمان من صلاة الليل: عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن الرجل ليكذبُ فيحُرمُ بها صلاةَ الليل، فإذا حُرم صلاة الليل حُرِم بها الرزق»[17].
- لا يقبل رأي الكاذب: كما عن رسول الله صلى الله عليه وآله: « لا رأيَ لكذوب »[18].
- يسلب البهاء: كما ورد عن عيسى عليه السلام: «من كَثُرَ كذِبُه ذهبَ بهاؤه»[19].

بنحو ينفر عنه الناس، ولأجل قبح الكذب وخطورته كان التحذير من مصاحبة الكذاب.

- التحذير من مصادقة الكذّاب: عن أمير المؤمنين عليه السلام: «ينبغي للرجلِ المسلم أن يجتنبَ مؤاخاةَ الكذّاب، إنه يكذبُ حتى يجيءَ بالصدقِ فلا يُصدَّقَ»[20].

الكذب حرام صغيره وكبيره، في الجد والهزل

الكذب حرام بالمطلق، حتى لو كان بدافع الهزلِ والمزاح لغرضِ الترفيه والضحك أو كان صغيرًا، كما تدل على ذلك هذه الرواية: عن الإمام السجاد عليه السلام: «إتّقوا الكذبَ الصغيرَ منه والكبير في كل جدٍّ وهزْل»[21].

ولا بد من الاشارة إلى أنّ الكذب على الله تعالى ورسوله والأئمة من أسوأ مراتب الكذب.

3 - المال المغصوب

السرقة

السرقة من الكبائر، ولا فرق في حرمة السرقة من الناحية الكميّة بين الكثرة والقلّة حتى لو كانت بمقدار إبرة أو خيط.

ولقد أشارت الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام إلى ذلك: «واللهِ لو أُعطيتُ الأقاليمَ السبعةِ بما تحتَ أفلاكها على أن أعصيَ الله في نملةٍ أسلبها جلبَ شعيرةٍ ما فعلته...»[22].

فنلاحظ أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام اعتبر سلب النملة ماتحمله من شعيرة فيه عصيان، ولقبح عمل السرقة جعل الله تعالى للسارق والسارقة حدّاً وعقاباً دنيوياً فقال سبحانه: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[23].

17. دستغيب، الذنوب الكبيرة، ج1، ص242.
18. دستغيب، الذنوب الكبيرة، دستغيب، ج1، ص240.
19. دستغيب، الذنوب الكبيرة، ج1، ص242.
20. دستغيب، الذنوب الكبيرة، دستغيب، ج1، ص243.
21. دستغيب، الذنوب الكبيرة، ج1، ص247.
22. من كبائر الذنوب، سلسلة الدروس الثقافية، جمعية المعارف الاسلامية.
23. سورة المائدة/38.

من كبائر الذنوب

يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[24]. عندما يرد آكل مال اليتيم في المحشر، تخرج النار والدخان من فمه وأذنيه وعينيه ولسانه، فيعرفه الناس بهذه العلامة آكلًا لمال اليتيم.

الإحسان لليتيم: كما أنَّ لظلم اليتيم عقوبات دنيوية وأخروية، كذلك الإحسان لليتيم له أجر دنيوي وأخروي، خصوصاً في حفظ اليتامى وتكفلهم. عن الإمام الصادق عليه السلام: «من كفلَ يتيماً أوجبَ الله له الجنَة كما أوجبَ جهنَّم على آكلِ ماله»[25].

4 - الزنا

الزنا من الذنوب الكبيرة، والتي أجمعت على حرمته وقبحه الشرائع السماوية، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾[26].

الآثار الدنيوية والأخروية للزنا

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: « في الزنا ستُّ خصال، ثلاثٌ في الدنيا وثلاثٌ منها في الآخرة، فأما التي في الدنيا فيُذهبُ بالبهاء، ويعجِّل الفناء، ويقطع الرزق. وأما التي في الآخرة فسوءُ الحسابِ وسخطُ الرحمن والخلودُ في النار »[27].

عن رسول اله صلى الله عليه وآله: «إذا كثُرَ الزنا بعدي كَثُرَ موتُ الفجأة»[28]. وعنه صلى الله عليه وآله: «الزنا يورثُ الفقرَ ويَدعُ الديار بلاقع»[29].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «حرّم الله الزنا، لما فيه من الفسادِ من قتلِ النفسِ وذهابِ الأنسابِ وتركِ تربيةِ الأطفالِ وفسادِ المواريث»[30].

الوقاية والعلاج من الزنا والفواحش

يقول تعالى: ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً﴾[31]. هذه الآية الكريمة لم تقل: «لا تزنوا» بل قالت: «لا تقربوا»، وهذا الأسلوب في النهي فضلاً عمَّا يحمله من تأكيد، فإنَّه يوضِّح أنَّ هناك مقدِّمات تجرُّ إلى الزنا ينبغي تجنبها وعدم مقاربتها.

فالشيطان لا يُوقِع الإنسان المسلم بالفاحشة والذنب الكبير بشكل فوري دفعي،

24. سورة النساء/10.
25. الذنوب الكبيرة، دستغيب، ج1، ص150.
26. سورة الفرقان/68.
27. من كبائر الذنوب، سلسلة الدروس الثقافية، جمعية المعارف الاسلامية.
28. من كبائر الذنوب، سلسلة الدروس الثقافية، جمعية المعارف الاسلامية.
29. من كبائر الذنوب، سلسلة الدروس الثقافية، جمعية المعارف الاسلامية.
30. من كبائر الذنوب، سلسلة الدروس الثقافية، جمعية المعارف الاسلامية.
31. سورة الإسراء/32.

بل له مكائد ومقدّمات يستعملها لإيقاع الإنسان في حباله وشراكه. هنا لا بد من الإشارة إلى بعض الأساليب التي تجنب الانسان من الوقوع في الفاحشة:

- مكافحة السفور: إنَّ سفور النساء وما يرافقه من تجمُّل وتزيُّن هي ساحة خصبة لإبليس وجنوده، تُفقِد الإنسان المناعة والإرادة، فيصبح صيداً سهلاً، ويَسْقُط أمام تحديات الهوى وتزييف الدنيا. ومن هنا كان تأكيد الإسلام على وجوب حجاب النساء في كثير من آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول والأئمة عليهم السلام.

- غضُّ البصر: يقول تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ...﴾.[32]

- تحريم الخلوة بالأجنبية: وقد حرّم الإسلام الخلوة بالأجنبية حتى إذا كان مشغولاً بالعبادة، مع احتمال الوقوع في الحرام والخوف من ذلك. روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخرِ فلا يبيتُ في موضعٍ يسمعُ نفسَ امرأةٍ ليست له بمحرم»[33].

- الابتعاد عن الاختلاط: ينبغي على الرجال والنساء الاحتياط كثيراً من الاختلاط حتى لا يكون مقدِّمة للوقوع في شرك الشيطان. في وصية الإمام علي عليه السلام لولده الحسن عليه السلام: «واكففْ عليهنّ من أبصارهنّ بحجابك إياهُن، فإن شدّة الحجاب أبقى عليهن، وليس خروجُهن بأشد من إدخالك من لا يُوثَق به عليهن، وإن استطعتَ أن لا يعرفنَ غيرك فافعل»[34].

- البيئة السليمة: هناك الكثير من المحرمات التي تجعل الإنسان إذا ارتكبها ـ والعياذ بالله ـ يقف على حافة الزنا، ويمكن أن يهوي فيه في أي لحظة. مثل: مشاهدة الصور الخلاعية والأفلام المثيرة للشهوات، والقصص والروايات المنحرفة، وارتياد أمكنة الفساد والملاهي. ولا ريب في أنَّ البيئة الإسلامية يجب أن تكون طاهرة سليمة من هذه الأمور التي تجر أفرادها إلى مهاوي الفساد وظلماته، وتدفع بالشباب والشابات نحو الانحطاط الخلقي والرذيلة.

- الترغيب في زواج يسير التكاليف: يقول تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ...﴾[35]. أشارت الآيات إلى أهم طرق

32 ـ سورة النور/ 31.
33 ـ الذنوب الكبيرة، دستغيب، ج1، ص217.
34 ـ نهج البلاغة.
35 ـ سورة النور/33.

لمكافحة الفحشاء، ألا وهو الزواج اليسير الذي يتم بعيداً عن أجواء الرياء والبذخ، لأنَّ إشباع الغرائز بشكل سليم وشرعي خير سبيل لإقتلاع جذور الذنوب

5 - الفرار من الزحف

الفرار من الزحف بمعنى الفرار من معركة الجهاد الشرعي، هو من الذنوب الكبيرة.
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ * وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[36].
وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «وليعلم المنهزمُ بأنَّه مسخطٌ ربَّه وموبقٌ نفسه، وأنَّ في الفرار موجدةَ الله والذلَّ اللازم والعارَ الباقيَ، وأنَّ الفارَّ لغير مزيدٍ في عمره، ولا محجوزٌ بينه وبين يومه، ولا يُرضي ربّه، ولموتُ الرجل محقًّا قبل إتيانِ هذه الخصال خيرٌ من الرضا بالتلبُّس بها والإقرار عليها»[37].

الثبات وعدم الفرار من أسباب النصر

النصر الإلهيُّ على الأعداء له شروط، ولا يأتي عبثاً ولا مجاناً بلا أسباب، ومن أسباب النصر على الأعداء، الإيمان، العمل والجهاد، إعداد العدّة، الأمل والصدق، بالإضافة إلى الثبات في المعركة وعدم الفرار.
يقول الله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[38].
ففي هذه الآية تأكيد على مسألة تثبيت الأقدام، وذلك لأن الثبات أمام العدو أهم رمز للانتصار، وإنما يكسب الحربَ الذين يصمدون ويثبتون أكثر.

6 - كبائر اللسان

الغيبة والبهتان والنميمة

الغيبة: ما يقال في غياب الشخص، غاية الأمر أنَّه بقوله هذا يكشف عيباً من عيوب الناس، سواء كان عيباً جسدياً أو أخلاقياً، أو في الأعمال أو في المقال، بل حتى في الأمور المتعلقة به كاللباس والبيت والزوج والأبناء وما إلى ذلك.
فبناء على هذا ما يقال عن الصفات الظاهرة للشخص الآخر لا يُعد اغتياباً، إلا أن يراد منه الذم والعيب فهو في هذه الصورة حرام، كما لو قيل في مقام الذم أن فلاناً أعمى أو أعور أو قصير

36 ـ سورة الأنفال/ 16.
37 ـ الذنوب الكبيرة، دستغيب، ج2، ص19.
38 ـ سورة محمد/ 7.

القامة وما إلى ذلك.

فيتضح من هذا أنَّ ذكر العيوب الخفية بأي قصد كان يعد غيبة، وذكر العيوب الظاهرة إذا كان بقصد الذم أو كان فيه أذية فهو حرام سواء أدخلناه في مفهوم الغيبة أم لا.

كلُّ هذا في ما لو كانت هذه العيوب في الطرف الآخر واقعية، أما إذا لم تكن صحيحة أصلاً فتدخل تحت عنوان "**البهتان**"، وإثمه أشد من الغيبة بمراتب.

ففي حديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «الغيبةُ أن تقول في أخيك ما سترهُ اللهُ عليه، وأمّا ما هو ظاهر فيه مثل الحدّة والعجلة فلا، والبهتانُ أن تقول ما ليس فيه»[39].

أما **النميمة**: فهو أن ينقل شخص كلاماً سمعه من شخصٍ واقعاً أو اخترعه من نفسه إلى شخص آخر بقصد الفتنة بينهما.

التحذير من الغيبة والبهتان والنميمة

المستقرئ لآيات القرآن الكريم والروايات يلاحظ أنَّ الغيبة والبهتان والنميمة من الكبائر، فقد أوعد الله عليهم بالنار فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[40].

ويقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[41].

وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾[42]. هذا وعيد من الله سبحانه لكل مغتاب مشّاء بالنميمة مفرِّق بين الأحبة.

وأما «ويل»: فهو اسم لدركة من دركات جهنم، أو اسم لواد فيها، وتستعمل للتعبير عن شدّة العذاب.

عن رسول الله ﷺ: «من مشى في نميمة بين الإثنين سلّط اللهُ عليه في قبره نارًا تحرقُه وإذا خرَج من قبرهِ سلّطَ اللهُ عليهِ تنّينًا أسودَ ينهشُ لحمَه حتى يدخُلَ النار»[43].

39. من كبائر الذنوب، سلسلة الدروس الثقافية، جمعية المعارف الاسلامية.
40. سورة النور/19.
41. سورة الحجرات/ 12.
42. سورة الهمزة/ 1.
43. الذنوب الكبيرة، دستغيب، ج2، ص241.

علاج الغيبة والبهتان والنميمة

على المغتاب والنمّام أن يدرك أن الغيبة والنميمة من أمراض القلب الخطيرة، وأن يسعى إلى علاج البواعث الداخلية للاغتياب والنميمة التي تكمن في أعماق روحه وتحضّه على هذا الذنب، من قبيل البخل والحسد والحقد والعداوة والاستعلاء والأنانية.

أبعدنا الله وإياكم عن الذنوب صغيرها وكبيرها، والحمدُ لله رب العالمين.